ابن دريد
أشعر العلماء
(223 ـ 321هـ)

ابنُ دُريدٍ، أَشعرُ العُلماءِ، وأَعلمُ الشُّعراءِ، اللُّغويُّ الحاذقُ، والشَّاعرُ المُكثرُ مِنْ نَظمِ الشِّعرِ، وصاحبُ قَصيدةِ «المقصورةِ» الَّتِي تُعتبرُ مِنْ كُبرياتِ قَصائِدِ الشِّعرِ العربيِّ قَديماً وحديثاً، واحدٌ مِنْ عُلماءِ العربِ القُدماءِ الَّذِيْنَ عاشوا في العصرِ العبَّاسيِّ، والَّذِيْنَ لا يُدركُ لَهُمْ أَمدٌ في اللُّغةِ والأَدبِ.

يُعتبرُ «ابنُ دُريدٍ» مِنْ أَهمِّ العُلماءِ الرُّوادِ في مَدرسَةِ البَصرةِ في القَرنِ الثَّالثِ الهجريِّ، ومِنْ أَهمِّ عُلماءِ اللُّغةِ المُقدَّمينَ في الأَشعارِ والأَنسابِ بَعدَ عَصرِ «الأَصمَعيِّ»، وما عَرف تاريخُ اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابُها مِنَ العُلماءِ المُقدَّمينَ في الأَشعارِ والأَنسابِ والأَخبارِ والنَّوادرِ كَالأَصمعيِّ، ثُمَّ ابنِ دريدٍ مِنْ بَعدِهِ، وذَلِكَ لِما تَمتَّعَ بِهِ هَذانِ العالمانِ مِنْ علمٍ جَمٍّ، وفكرٍ موسوعيٍّ يُمثِّلُ ثَقافَةَ العصرِ الَّذِي عاشا فيهِ، ولِما تَحلَّيا بِهِ مِنْ صِفاتٍ وخِلالٍ حَميدةٍ دَفَعتْهُما نَحوَ طَلبِ العلمِ وتَحصيلِهِ، ومِنْ ثَمَّ إفادَةِ النَّاسِ بِهِ، بِورعٍ وإِخلاصٍ شَديدينِ.

فَلَقَدْ أَغنَى «ابنُ دريدٍ» اللُّغةَ العربيَّةَ وعُلومَها وآدابَها بِما وَضَعَهُ مِنْ مُؤلَّفاتٍ ومُصَنَّفاتٍ

ضَخمةٍ ومُفيدةٍ، اعْتبرَتْ مِنْ أَهَمِّ مَصادرِ اللُّغةِ ومَراجعِ عُلومِها وفُنونِها، ويَأتي في مُقدِّمةِ هَذِهِ المُؤلَّفاتِ والمُصنَّفاتِ مُعجَمُهُ الشَّهيرُ بِـ «الجَمهرَةِ» الَّذِي هوَ مِنْ أَضخمِ مَعاجمِ اللُّغةِ العربيَّةِ وأَقدمِها، وأذخرِها حَشداً بِالمعارفِ والمَعلوماتِ، بِما حَواهُ مِنْ مادَّةٍ لُغويَةٍ ثَريَّةٍ بِالشَّواهدِ المُساقَةِ مِنْ كَلامِ العربِ وأَشعارِهِمْ، ومِنْ أَلفاظِ البيانِ الإِلهيِّ في التَّنزيلِ الحكيمِ.

كما كانَ «ابنُ دريدٍ» مِنْ زُمرةِ العُلماءِ الرَّاسخينَ في العلمِ الَّذِيْنَ يُصدِّرونَ علمَهُمْ ويَبثونَهُ بينَ النَّاسِ، عَنْ وَعْيٍ وإِدراكٍ، وحجَّةٍ مُثبَتةٍ بِالأَدلَّةِ والبَراهينِ، فَكانَ لا يُطلقُ علمَهُ، أَو يُعلنُ رأْيَهُ في مَسأَلةٍ تُعرضُ عَليهِ، إِلَّا بَعدَ التَّأَكدِ مِنْ صِحَّتِهِ، وإِيرادِ دَليلِهِ مِنْ كلامِ العربِ.

كَما كانَ «ابنُ دريدٍ» مِنْ كُرماءِ العربِ المَشهورينَ، الَّذِيْنَ يَبسطونَ يَدَهُمْ ويَجودونَ بِفضولِ مالِهِمْ، كَما يَجودونَ بِعلمِهِمْ ويَبذلونَهُ مِنْ غيرِ بخلٍ أَو تَقتيرٍ، فَكانَ يُقري الضَّيفَ، ويَتكرَّمُ عَلى السَّائِلِ، ويُعينُ المُحتاجَ عَلى نَوائِبِ الدَّهرِ، ولِهذا نَعاهُ أَحدُ الشُّعراءِ مِنْ مُعاصريهِ عندَ موتِهِ بِقولِهِ:

فَـقَـدْتُ بِـابـنِ دريـدٍ كُـلَّ فـائِـدةٍ ... لَـمَّـا غَـدَا ثـالـثَ الأَحـجـارِ والتُّـرَبِ

وكُـنـتُ أَبـكـي لِـفـقـدِ الـجـودِ مُـنـفَـرِداً ... فَـصـرتُ أَبـكـي لِـفَـقـدِ الـجـودِ والأَدبِ

فَمَنْ هوَ «ابنُ دريدٍ»، وأَينَ ولِدَ وعاشَ، وما هيَ أَهمُّ معالمِ حياتِهِ؟

❁ ❁ ❁

هوَ أَبو بَكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دريدِ بنِ عَتاهيَةَ الأَزديُّ البَصريُّ، مِنْ نَسلِ عمرو بنِ فَهمٍ الزَّهرانيِّ الَّذِي يَنتهي نسبُهُ إِلى «الأَزدِ بنِ الغَوثِ» الَّذِي نزلَ قومُهُ أَرضَ عُمانَ فَأطلقَ عليهِمْ منذُ القَديمِ «أَزدَ عُمانَ». وقَدْ أُطلقَ عَلى أَبي بكرٍ مُحمَّدِ بنِ الحسنِ لَقبُ «ابنِ دريدٍ» نسبَةً إِلى جَدِّهِ دريدٍ، و«الأَزديُّ» نسبةً إِلى قَومِهِ الأَزديِّينَ، و«البَصريُّ» نسبةً إِلى مدينةِ البَصرةِ مَسقطِ رأسِهِ، ومَكانِ نَشأَتِهِ وتَعلُّمِهِ، ولِكونِهِ أَحدَ أَقطابِ مدرسَةِ البَصرةِ في اللُّغةِ والرِّوايَةِ والشِّعرِ.

ولِدَ «ابنُ دريدٍ الأَزديُّ» في مَدينةِ البصرةِ سنةَ (223) هجريَّةً الموافقة لِسنةِ (837) ميلاديَّةً، ونَشأَ وتَرعرَعَ فيها، وتَربَّى في بيتِ عِزٍّ وعِلمٍ وأَدبٍ، حيثُ كانَ أَبوهُ وَجيهاً في قَومِهِ، كَما أَشرفَ عَلى تَربيَتِهِ وتَهذيبِهِ وتَعليمِهِ في طفولتِهِ عَمُّهُ «الحُسينُ بنُ دريدٍ» الَّذِي كانَ مِنَ الحُفَّاظِ، ومِنْ رِجالِ العلمِ الَّذِيْنَ لَمْ يُحقِّقوا شُهرةً واسعةً بينَ العُلماءِ في البصرةِ، ويُقالُ: إِنَّ الفضلَ الأَكبرَ في تَعلُّمِهِ وتَمكُّنِهِ مِنَ العلمِ يَعودُ إِلى عَمِّهِ «الحُسينِ» وخاصَّةً عندما صَحبَهُ إِلى عُمانَ وأَقامَ معهُ هُناكَ ما يُقاربُ (12) عاماً مُتتاليَةً، ثُمَّ يَعودُ الفَضلُ مِنْ بَعدِهِ إِلى أَوَّلِ شُيوخِهِ في البَصرةِ الَّذِيْنَ أَخذَ عَنهُمْ، وهوَ «أَبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ هارون الأَشنانديُّ»[1]، ثُمَّ سَمعَ إِلَى: «أَبي حاتمٍ السّجستانيِّ»[2]، . . . . . .

(1) أَبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ هارون الأَشنانديّ: نسبة إلى أَشنان، محلّة في بغداد. كان عالماً لغوياً من كبار علماء البصرة، وله من التصانيف كتاب معاني الشعر، يرويه عنه ابن دريد. توفي سنة 288هـ.

(2) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرئ، نزيل البصرة وعالمها، أخذ عن الأخفش والأصمعي، وأخذ عنه المبرد وابن دريد. توفي في الحرم سنة 248هـ.

و«أَبي الفَضلِ الرّياشيِّ»[1] الَّلذَينِ كانا أَشهرَ عُلماءِ البَصرةِ في عَصرِهِ، كما سمعَ إِلى العديدِ مِنْ علماءِ وشيوخِ البصرةِ غيرِهِمْ.

كَما أَخذَ العلمَ عَن «ابنِ دريدٍ» عَددٌ كبيرٌ مِنَ العُلماءِ المَشهورينَ الَّذِيْنَ تَميَّزوا بِالبَحثِ والتَّصنيفِ والتَّأليفِ، وماتزالُ مُصنَّفاتُهُمْ مِنْ أَهمِ مصادرِ عُلومِ اللُّغةِ، ومِنْ أَهمِّ مَراجعها الأَمينةِ، والمُعتمدةِ عِندَ العربِ، وفي مُقدِّمتهِمْ: أَبو الفرجِ الأَصفهانيُّ صاحبُ كتابِ «الأَغاني»، وأَبو عليٍّ القالي صاحبُ «الأَمالي»، وابنُ بِشرٍ الآمديُّ صاحبُ كتابِ «المُوازنةِ»، وابن خالويه، أَبو سعيدٍ السّيرافيُّ، والمرزبانيُّ صاحب كتابِ «مُعجمِ الشُّعراءِ»، والوزيرُ الشَهيرُ ابنُ مُقلَةَ، وغيرُهُمْ.

❋ ❋ ❋

ولَمْ تَكَدْ شهرةُ «ابنِ دريدٍ» تَنتشرُ في البصرةِ، ويَسمعُ بِها النَّاسُ، حَتَّى كَتبَ عليهِ القَدرُ مُغادرةَ البَصرةِ إِلى أَرضِ عُمانَ بِصُحبَةِ عَمِّهِ، فِراراً مِنَ الأَحوالِ المُضطربَةِ، ومِنْ يَدِ العسفِ الَّتِي طالَتِ العُلماءَ والأَعيانَ عَقبَ استفحالِ أَمرِ «فتنةِ الزّنجِ»[2] في البصرةِ سنةَ

(1) أَبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي، كان عالماً راوية عارفاً بأيام العرب، أخذ عنه الأصمعي. مات مقتولاً في البصرة أيام فتنة الزنج سنة 257هـ.

(2) ثورة الزنج أو فتنة الزنج كما يقال: قادها علي بن محمد بن عبد الرحيم الذّي ادّعَى نسبه إلى ولد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب فالتفّ حوله العبيد والسود والزنج والموالي والخدم من عوام الناس الفقراء الذين لحقهم جور السلطان والأغنياء، وهزموا جند الخليفة في البصرة واستولوا عليها من عام 245 إلى عام 277هـ، حيث قضي عليهِمْ وقُتلَ قائدهم علي بن محمد في أَواخرِ سنة 277هـ.

(255) هجريَّةً.

وذَكرَ المُؤَرِّخُونَ: إنَّ «ابنَ دريدٍ» أَقامَ (12) سنةً في عُمانَ بينَ قَومِهِ الأَزديِّينَ رَيثَما هَدأتِ الأَحوالُ في البَصرةِ، وقُضيَ تَماماً عَلى الفتنةِ وأصحابِها، فَطفِقَ عائِداً إلى البَصرةِ يَحدوهُ الشَّوقُ والحنينُ إِليها؛ لأَنَّ البصرةَ كانَتْ مَعقلَ العلمِ والعُلماءِ، ولأَهميَّتِها العلميّةِ والدينيَّةِ والسياسيَّةِ أُطلقَ عَليها «قبَّةُ الإِسلامِ» في ذَلكَ الحينِ.

ورُبَّما كانَ لِإِقامةِ «ابنِ دريدٍ» أَثرُها الكبيرُ في شُهرتِهِ، وإِتقانِهِ لِلُغةِ العربِ، ولِتلقيهِ وحفظِهِ لِشعرِ العربِ؛ لأَنَّ الأَزديِّينَ سُكانَ عُمانَ كانوا مِنْ أَفصحِ العربِ لِساناً، ومِنْ أَكثرِهِمْ حفظاً ورِوايَةً لأَشعارِ العربِ وحكمَتِهِمْ، ومِنْ أَصحِّهِمْ لُغةً كما ذَكرَ عَنهُمُ المُؤَرِّخُونَ ذَلكَ قَديماً، ورُبَّما انطلَقَتْ شهرَتُهُ تَجوبُ الآفاقَ مِنْ هُناكَ، فَقصدَهُ النَّاسُ مِن البُلدانِ المُجاورَةِ يسمعونَ مِنهُ، ويَتعلَّمونَ عَلى يَديهِ.

وبَعدَ رُجوعِهِ إِلى البَصرةِ، لَمْ يَستقِرَّ لَهُ المقامُ فيها، وإِنَّما صارَ يَتنقَّلُ بينَ بَغدادَ وبينَ بِلادِ فارس والأَهوازِ وعُمانَ، بِناءً عَلى دَعواتِ الولاةِ وكبارِ الأَعيانِ والعُلماءِ، وحُبّاً لِلمعرفَةِ والاطِّلاعِ، فَذكرَ المُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ فورَ رُجوعِهِ إِلى البَصرةِ تَلقَّى دعوةً مِنْ والي خُراسانَ في عهدِ الخليفةِ المُقتدرِ بِاللهِ العباسيِّ «عبدِ اللهِ بنِ مُحمَّدٍ بنِ ميكال» لِتأَديبِ ولدِهِ أَبي العبَّاسِ «إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ»، فَطابَتِ الإِقامَةُ لَهُ في نيسابورَ عاصمةِ إِقليمِ خُراسانَ، وتَقلَّدَ مَنصبَ رئيسِ الدِّيوانِ هُناكَ، فكانَ لا يصدرُ أَمراً أَو فَرماناً حُكوميّاً إِلَّا مِنْ تَحتِ إِشرافِهِ وموافَقتِهِ، وسارَ في النَّاسِ سيرةً حَسنةً، فَكانَ يَجمعُ بينَ وَظيفَتِهِ وبينَ تَعليمِهِ لِلنَّاسِ، وكَذلِكَ انْشغالهِ في البَحثِ والتأليفِ والتَّصنيفِ، فَوضَعَ أُرجوزَتَهُ الشِّعريَّةَ

المَشهورةَ والمُسمّاةَ بِـ «المَقصورةِ» يَذكرُ فيها مناقبَ العربِ وأَخبارَهُمْ ويَمدحُ فيها الوالي «ابنَ ميكالَ» وابنَهُ أَبا العبَّاسِ إسماعيلَ، ثُمَّ وَضعَ مُعجمَهُ الشَّهيرَ بِـ «الجمهرةِ» بناءً عَلى طلبِ الوالي «ابنِ ميكالَ».

يَحرصُ «ابنُ دريدٍ» كُلّ الحرصِ عَلى إِلقائِهِ العلمَ لِمَنْ هوَ جادٌّ في التَّعلُّمِ والسَّماعِ، فَكانَ لا يَتحدَّثُ إِلَّا إِذا وجدَ آذاناً صاغيَةً بِكُلِّ وَعيٍ وانتباهٍ إِليهِ، فَيَروي عَنهُ ابنُ بَشْكوالَ في كتابِهِ «الصِّلةِ في تاريخِ الأَندلسِ» بِهذا الصَّدَدِ: إِنَّهُ لَمَّا نَزلَ في مدينةِ «سيرافَ» أَثناءَ تَطوافِهِ في بِلادِ فارس، سَأَلَهُ بَعضُ النَّاسِ لِلقراءَةِ عليهِ، فَأَبَى ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَرَ هُنالِكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَجلسَ لَهُ، فَكتبَ هذِهِ الأَبياتَ وعَلَّقَها في قبلَةِ مَسجدِهِمْ:

قالوا: نراكَ تُطيلُ الصَّمتَ؟ قلتُ لَهُمْ: ما طولُ صَمتي مِنْ عَيٍّ ولا خَرسِ
لَكنَّهُ، أَجملُ الأَمرينِ منزلَةً عندي، وأَحسنُ لي مِنْ مَنطقٍ شَكِسِ
قالوا: نَراكَ أَديباً لستَ ذا خَطلٍ؟ قلتُ: هاتوا أَروني، وجهَ مُقْتَبِسِ
لو شِئتُ قلتُ لَكِنْ لا أَرَى أَحداً سَاوَى الكلامَ فَأُعطيهِ مَدَى النَّفسِ
أَأَنشُرُ البرَّ في ما ليسَ يَعرفُهُ وأَنثُرُ الدُّرَّ لِلعُميانِ في الغَلسِ؟

❋ ❋ ❋

يَتمتَّعُ «ابنُ دريدٍ» بِذاكرةٍ قَويَّةٍ، ومقدرةٍ كبيرةٍ عَلى الحفظِ، وبِفطنةٍ واسعةٍ في قولِ الشِّعرِ وإِطلاقِهِ عَلَى السَّجيَّةِ، فَكانَ شاعراً مُجيداً ومُكثراً مِنْهُ في المُناسباتِ والملمّاتِ والأَحداثِ، أَو كُلَّما أَفرَحهُ أَو حَزبَهُ أَمرٌ ما، وكانَ يُقرأُ عليهِ دواوينُ الشِّعرِ فيُسابِقُ إِلَى

إتمامِ حِفظِهِ لَها، ولِهذا قالَ عَنهُ تلميذُهُ المُؤرِّخُ والأَديبُ «ابنُ خالويه»: «ابنُ دريدٍ أَعلمُ الشُّعراءِ، وأَشعرُ العُلماءِ»[1].

وذَكرَ المَسعوديُّ: «إنَّ «ابنَ دريدٍ» كانَ إمامَ عَصرِهِ في اللُّغةِ والأَدبِ، عبقريّاً، برعَ في الشِّعرِ، ورَوى مِنْ أَشعارِ العربِ وأَخبارِهِمْ ما لَمْ يَروِهِ كثيرٌ مِنْ أَهلِ العلمِ، وكانَ حسنَ القريحةِ، وهوَ الَّذِي انتَهَتْ إِليهِ لُغةُ البَصريينَ، وقامَ مقامَ الخليلِ بنِ أَحمدَ في اللُّغةِ، وقيلَ: إِنَّهُ تَصدَّرَ في العلمِ ستينَ سنةً، وكما قيلَ: إِنَّهُ ما ازدحمَ العلمُ والشِّعرُ في صَدرِ أَحدٍ ازدحامَهُما في صَدرِ خَلفٍ الأَحمرِ[2] و«ابنِ دريدٍ»»[3].

ولَما ماتَ العالمُ والفقيهُ والإِمامُ «محمَّدُ بنُ إِدريسٍ الشَّافعيُّ»، تَركَ موتُهُ أَثراً عَميقاً في نفسِ «ابنِ دريدٍ» فَرثاهُ بِقصيدةٍ يُعدِّدُ فيها مناقبَ الإِمامِ الشَّافعيِّ، جاءَ فيها:

أَلَمْ تَرَ آثارَ ابنِ إدريسَ بعدهُ ... دلايلَةً في المُشكلاتِ لَوامعُ؟
معالِمٌ يَفنَى الدَّهرُ وهيَ خَوالدُ ... وتَنخفضُ الأَعلامُ وهيَ روافعُ
مناهجٌ فيها لِلورَى متَصرِّفُ ... مواردٌ فيها لِلرَّشادِ مشارعُ

وذَكَرَ أَبو حيانَ التَّوحيديُّ في كتابِهِ «البَصائرِ والذَّخائِرِ»، أَنَّ «ابنَ دريدٍ» كتب إلى

---

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي بتصرفٍ.

(2) خلف الأحمر: هو أبو محرز البصري خلف بن حيان المعروف بالأحمر، سمع من حماد الرّاوية، وكان معلّم أهل البصرة ومعلّم الأصمعي، وله كتاب جبال العرب وديوان شعر رواه له أبو نواس، ت280هـ.

(3) المصدر السابق نفسه.

عليِّ بنِ عيسى بنِ ماهانَ وكانَ أَميراً عَلى بِلادِ فارس في عهدِ الخليفتين الرَّشيدِ والأَمينِ، ولاقَى النَّاس هناكَ عَلى يديهِ جوراً عَظيماً:

أَبا حسنَ والمرءُ يُخلَقُ صورةً ... تُخبرُ عمَّا ضَمَّنَتْهُ الغرائزُ
إِذا كُنتَ لا تُرجَى لِنَفعِ مُعجلٍ ... وأَمرُكَ بينَ الشَّرقِ والغربِ جائزُ
ولَمْ تَكُ يَومَ الحشرِ فينا مُشفِّعاً ... فَرأيُ الَّذِي يَرجوكَ لِلنَّفعِ عاجزُ
عليَّ بنَ عيسَى خيرُ يَوميكَ أَنْ تُرَى ... وفَضلُكَ مَأمولٌ ووَعدُكَ ناجزُ
وإِنِّي لأَخشَى بَعدَ هذا بِأَنْ تُرَى ... وبينَ الَّذِي تَهوَى وبينَكَ حاجزُ

اشْتُهِرَ «ابنُ دريدٍ» بِكرمِهِ وسَخائِهِ، فَكانَ لا يَحبسُ مالاً أَو عَطاءً عَنْ سائِلٍ أَو مُحتاجٍ، ورغمَ ما أَصابَهُ في نيسابورَ وخُرَّاسانَ مِنْ مالٍ وعَطايا وهَدايا مِنِ ابنِ ميكالَ وابنهِ أَبي العبَّاسِ، إِلَّا أَنَّه عادَ مِنْ هُناكَ صفرَ اليَدينِ لا يَملكُ مالاً ولا مَتاعاً، فَأَجرَى عليهِ الخليفَةُ المُقتَدرُ بِاللهِ مُرَتَّباً شَهرياً قَدرهُ خَمسونَ ديناراً حَتَّى وفاتِهِ.

❁ ❁ ❁

عُرِفَ «ابنُ دريدٍ» بِحُبِّهِ الشَّديدِ لِلجَدِّ والمُثابرةِ في البَحثِ والتأليفِ والتَّصنيفِ، وبُعدِهِ عَنِ اللَّهوِ والتَّرفِ، فَرَوَى ياقوتُ الحمويُّ في معجمِ الأُدباءِ عَنِ الأَميرِ أَبي النَّصرِ بنِ الميكالي قالَ: تَذاكرنا المُنتزهاتِ يوماً وابنُ دريدٍ حاضرٌ فقالَ بَعضُهُمْ: أَنزهُ الأَماكنِ غوطةُ دمشقَ، وقالَ آخرونَ: نهرُ الأُبلةِ، وقالَ آخرونَ: بَلْ سغدُ سَمرقَندَ، وقالَ آخرونَ:

بَلْ نَهرُ نَهروانَ، وقالَ آخرونَ: شَعبُ بَوانَ بِأرضِ فارس، وقالَ آخرونَ: بَلْ نوبهار بَلخ، فقالَ ابنُ دريدٍ:

هذِهِ مُنتزهاتُ العيونِ، فَأينَ أَنتُمْ مِنْ مُنتزهاتِ القلوبِ؟

فَقلْنا: وما هيَ يا أَبا بَكرٍ؟

قالَ: كتابُ «عيونِ الأَخبارِ» للقُتيبي، وكتابُ «الزّهرةِ» لأَبي داؤد، وكتابُ «نزهةِ المُشتاقِ» لابنِ أَبي طاهرٍ، ثُمَّ أَنشأَ يَقولُ:

ومَنْ تَكُ نزهتُه قينه وكَأسٌ تُحَتّ وأُخْرى تُصَبّ

فَنزهَتُنا واسْتراحَتُنا تَلاقي العيونِ ودرسُ الكُتب

عَدَّدَ المُؤَرِّخُونَ لَهُ مِنَ المُصنَّفاتِ والمُؤلَّفاتِ (27) كتاباً أَهمُّها وأَشهرُها:

1 ـ ديوانٌ شعريٌّ يَحوي مئةَ قَصيدةٍ، أَشهرُها وأَهمُّها قَصيدةُ «المَقصورةِ» أَنشدها لوالي خُراسانَ ابنِ ميكالَ، وهيَ من روائعِ الشعرِ العربي المَلحميِّ في العصرِ العباسيِّ، وقَدْ قامَ بِشرحِها عَددٌ مِنَ العُلماءِ، وأَشهرُ هذِهِ الشُّروحِ شَرحُ العلَّامةِ النَّحويِّ شَمسِ الدِّينِ المصريِّ المعروفِ بِابنِ الصَّايغِ، وتتألَّفُ مِنْ (265) بيتاً، ومِمَّا قالَهُ فيها الأبياتَ التَّاليَةَ:

مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبراً أَيَّامُهُ كانَ العَمَى أَولَى بِهِ مِنَ الهُدَى

مَنْ لَمْ يَعظْهُ الدَّهرُ لَمْ يَنفَعْهُ ما راحَ بِهِ الواعظُ يَوماً أَو غَدا

2 ـ كتابُ الجمهرةِ: وهوَ مُعجمٌ كبيرٌ أَملاهُ في بِلادِ فارس ثُمَّ في بَغدادَ، وقَدْ رَتَّبَ فيهِ الأَلفاظَ والكلماتِ تَرتيباً هجائيّاً، وقَسَّمَهُ حسبَ تَقسيماتِ كتابِ العينِ لِلفراهيديِّ، فَبدأَ

بِالثُّنائيِّ ثُمَّ الثُّلاثيِّ ثُمَّ الرُّباعيِّ فَالخُماسيِّ والسُّداسيِّ ومُلحقاتِها، وجمعَ الأَلفاظَ النَّادرةَ في بابٍ مُفرَدٍ، ورَتَّبَها تَرتيباً هجائيّاً أَيضاً، وقَدْ وضِعَتْ عليهِ عدَّةُ شروحٍ أَهمُّها كتابُ شرحِ شواهدِ الجمهرةِ لأَبي العلاءِ المعريِّ، وقَدْ أَودعَ معجمَ الجمهرةِ ابنُ منظورٍ في مُعجمهِ الكبيرِ والشَّهيرِ «لِسانِ العربِ».

3 ـ كتابُ الاشتقاقِ: ذكرَ فيهِ أسماءَ القبائلِ العربيَّةِ وأَعلامَها مرتبَةً تَرتيباً مُعجمياً.

توفيَ ابنُ دريدٍ سنةَ (311) هجريَّةً ودُفنَ في مقبرةِ الخيزرانِ في يَومٍ مَطيرٍ، في اليَومِ الَّذِي ماتَ فيهِ شَيخُ المُعتزلةِ والمُتكلِّمينَ (أَبو عليٍّ الجبَّائيُّ)، فقالَ النَّاسُ:

«اليَومَ ماتَ علمُ اللُّغةِ والكلامِ بِموتِ ابن دريدٍ والجِبائيِّ».

الأسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا يُعتبرُ «ابنُ دريدٍ»؟

2 ـ لِماذا يُعتبرُ ابنُ دريدٍ والأَصمعيُّ مِنْ أَهمِّ العُلماءِ في تاريخِ اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها؟

3 ـ إلى مَنْ يُنسبُ ابنُ دريدٍ، ولِماذا لُقبَ بِهذا اللَّقبِ؟

4 ـ مَنْ هُمُ العُلماءُ والشُّيوخُ الَّذِيْنَ أَخذَ عَنهُمُ ابنُ دريدٍ؟

5 ـ ما سَببُ خروجِ ابنِ دريدٍ معَ عَمِّهِ إلى عُمانَ؟

6 ـ لِماذا ذهبَ ابنُ دريدٍ إلى خراسانَ؟

7 ـ ما هيَ أَهمُّ الأَفكارِ الَّتِي وردَتْ في قَصيدةِ المقصورةِ لابنِ دريدٍ؟

8 ـ كيفَ رَتَّبَ ابنُ دريدٍ معجمَ الجمهرةِ، وكيفَ قَسَّمَهُ؟